

### المرحلة الثالثة

وهى آخر مرحلة من مراحل حياة الرسول ﷺ تمثل النتائج التى أثمرتها دعوته الإسلامية بعد جهاد طويل وعناء متاعب وقلقل وفتن واضطرابات ومعارك وحروب دامية واجهتها طيلة بضعة وعشرين عاماً .

وكان فتح مكة هو أعظم فتح حصل عليه المسلمون فى هذه الأعوام ، تغير لأجله مجرى الأيام ، وتحول به جو العرب فقد كان الفتح حدثاً فاصلاً بين المدة السابقة عليه وبين ما بعده ، فإن قريشاً كانت فى نظر العرب حماة الدين وأنصاره ، والعرب فى ذلك تبع لهم ، فخضوع قريش يعتبر القضاء الأخير على الدين الوثنى فى جزيرة العرب . ويمكن أن نقسم هذه المرحلة إلى صفحتين:

١- صفحة المجاهدة والقتال .

٢- صفحة تسابق الشعوب والقبائل إلى اعتناق الإسلام .

وهاتان الصفحتان متلاصقتان تناوبتا فى هذه المرحلة ، ووقعت كل واحدة منهما خلال الأخرى ، إلا أننا اخترنا فى الترتيب الوضعى أن نأتى على ذكر كل من الصفحتين متميزة عن الأخرى ؛ ونظراً إلى أن صفحة القتال ألصق بما مضى ، وأكثر مناسبة من الأخرى قدمناها فى الترتيب<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

## غَزْوَةُ حُنَيْنٍ

## تَارِيخُهَا وَأَسْبَابُهَا :

كانت غزوة حنين في شوال سنة ثمان من هجرة النبي ﷺ وسببها: أن الله - جل جلاله - حينما فتح على رسوله مكة ، ودانت له قريش بعد بغيتها وعدوانها ، مشى أشرف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض ، وقد توغر صدورهم النصر الذي آتاه الله رسوله والمؤمنين .

فحشدوا حشودًا كبيرة وجمع أمرهم مالك بن عوف سيّد هوازن ، وأمرهم فجاءوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم ؛ حتى نزلوا بأوطاس - مكان بين مكة والطائف - وإنما أمرهم بذلك حتى يجد كل منهم ما يجسسه عن الفرار وهو الدفاع عن الأهل والمال والولد! وأجمعوا المسير إلى رسول الله ﷺ فخرج إليهم ﷺ لست ليال خلون من شوال في اثني عشر ألف من المسلمين ، عشرة آلاف من أهل المدينة ، وألفين من أهل مكة<sup>(١)</sup> .

## مُجْرِبُ الْحُرُوبِ يَغْلُظُ رَأْيَ الْقَائِدِ :

ولما نزل مالك بن عوف بأوطاس اجتمع إليه الناس ، وفيهم ذرّيد بن الصّمّة وهو شيخ كبير وليس فيه إلا رأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شجاعًا مجربًا قال دريد: بأى واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس ، قال: نعم مَجَالُ الخيل ، لا حزن<sup>(٢)</sup> ضرس<sup>(٣)</sup> ولا سهّل دَهِس<sup>(٤)</sup> ما لي أسمع رُغَاءَ البعير وثُهاق الحمير وبكاء الصبي وثغاء الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم ، فدعا مالكًا وسأله عما حمّله على ذلك فقال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، فقال: راعى ضأن والله ، وهل يرد المنهزم شيئًا؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِخَتْ في أهلك ومالك ثم سأل عن بعض البطون والرؤساء ، ثم قال: يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نخور الخيل شيئًا ، ارفعهم إلى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم ، ثم التق الصبابة على متون الخيل ؛ فإن كانت لك لحق بك من وراءك ،

(١) فقه السيرة للبوطي ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) الحزن: ما ارتفع من الأرض .

(٣) الضرس: أرض بها حجارة محددة .

(٤) الدهس: ما لان من الأرض .

وإن كانت عليك ألفاك ذلك ، وقد أحرزت أهلك ومالك .

ولكن مالكا - القائد العام - رفض هذا الطلب قائلاً: والله لا أفعل ؛ إنك قد كبرت وكبر عقلك ، والله لتطيعني هوازن أو لأتكننَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأى ، فقالوا: أطعناك ، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ، ولم يفتني .

يا ليتني فيها جذع  
أفود وطفاء الزمعة<sup>(٤)</sup>  
أخوب فيها وأضع<sup>(١)</sup>  
كأنها شاه صدع<sup>(٢) (٣)</sup>

### سَلَاخُ اسْتِكْشَافِ الْعَدُوِّ:

وبعث مالك عيوناً له يأتونه بالخبر فرجعوا إليه ، وقد تفرقت أوصالهم وذهبت عقولهم ، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق؛ فوالله ما تماسكنا أن حل بنا ما ترى ، ولم ينهه ذلك عن وجهه ، ولم يشنه عن عزمه على قتال رسول الله ﷺ والمسلمين ، والرجال الذين رأتهم العيون هم الملائكة إذ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦] .

### سَلَاخُ اسْتِكْشَافِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

ولما سمع بهم نبي الله ﷺ ، بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم<sup>(٥)</sup> ففعل .  
النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَعِيرُ الدُّرُوعَ مِنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةَ:

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً؛ فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال: «يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً» فقال: صفوان أغضباً يا محمد ، قال: «بل عارية ومضمونة؛ حتى نؤديها إليك»

(١) أحب وأضع: ضربان من السير .

(٢) صدع: شيء بين شيتين من أي نوع كان .

(٣) الرحيق المختوم ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(٤) وطفاء الزمعة: خيل طويلة الشعر .

(٥) سيرة الرسول أبو عمار ٥٧١ - ٥٧٢ .

قال: ليس بهذا بأس فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها ففعل<sup>(١)</sup>.

**الرَّسُولُ ﷺ يُغَادِرُ مَكَّةَ إِنِّي حُنَيْنٍ:**

وفى يوم السبت السادس من شهر شوال سنة ٨هـ، غادر رسول الله ﷺ مكة، وكان ذلك اليوم التاسع عشر من يوم دخوله في مكة، واستعمل على مكة عتّاب بن أسيد.

ولما كان عشية جَاءَ فَارِسٌ فَقَالَ إِنِّي طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةَ آبَائِهِمْ يَظْعُنُهُمْ وَنَعْمِهِمْ وَشَائِهِمْ اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «تَلَسَّكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، وتطوع للحراسة تلك الليلة أنس بن أبي مرثد الغنوى.

وفي طريقهم إلى حنين رأوا سدرية عظيمة خضراء، يقال لها: ذات أنواط، كانت العرب تغلق عليها أسلحتهم، ويسبحون عندها ويعكفون، فقال بعض أهل الجيش لرسول الله ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط فقال: الله أكبر، قلتُم والذى نفس محمد بيده كما قال أهل موسى: اجعل لنا آهًا كما لهم آهة، قال: إنكم قوم تجهلون، إنها السنن، لتركن سنن، من كان قبلكم<sup>(٢)</sup>.

ولما رأى بعض الطلقاء<sup>(٣)</sup> جيش المسلمين قالوا: لن نغلب اليوم من قلة، ودخل الإعجاب في نفوسهم، وكان قد شق ذلك على رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>.

**الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ يُبَاغِتُ بِالرُّمَاءِ وَالْمُهَاجِمِينَ:**

انتهى الجيش الإسلامي إلى حنين، الليلة التي بين الثلاثاء والأربعاء لعشر خلون من شوال، وكان مالك بن عوف قد سبقهم، فأدخل جيشه بالليل في ذلك الوادى، وفرق كمناءه فى الطرق والمداخل والشعاب والأخباء والمضائق، وأصدر إليهم أمره بأن يرشقوا المسلمين أول ما طلوعوا، ثم يشدوا شدة رجل واحد، وبالسحر عبأ رسول الله

(١) ابن هشام ٢ / ١٦٦.

(٢) الرحيق المختوم ص ٣٥٧.

(٣) الطلقاء: هم الذين أطلقهم النبي ﷺ بعد فتح مكة وخلقى سيبلهم.

(٤) السيرة النبوية للصلابي ٢ / ٤٨٩.

جيشه ، وعقد الألوية والرايات ، وفرقها على الناس ، وفي عَمَاية الصبح استقبل المسلمون وادى حنين ، وشعروا ينحدرون فيه ، وهم لا يدرون بوجود كمناء العدو في مضايق هذا الوادى ، فبيناهم ينحطون إذا تمطر عليهم النبال ، وإذا كتائب العدو قد شدت عليهم شدة رجل واحد ، فانشمر المسلمون راجعين ، لا يلوى أحد على أحد وكانت هزيمة منكرة ، حتى قال أبو سفيان وهو حديث عهد بالإسلام: لا تنتهى هزيمتهم دون البحر - الأحمر - وصرخ جَبَلَةٌ أو كَلْدَةٌ بن الحَنْبَل: ألا بطل السَّحَر اليوم .

وانحاز رسول الله ﷺ جهة اليمين وهو يقول: «هَلُمُّوا إِلَى أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ» ولم يبق معه فى موقفه إلا عدد قليل من المهاجرين والأنصار<sup>(١)</sup> .  
**شَجَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَثَرُهَا فِي كَسْبِ الْمَعْرَكَةِ:**

وحينئذ ظهرت شجاعة النبي ﷺ التي لا نظير لها ، فطفق يركض بغلته قبل الكفار وهو يقول:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ      أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ

ثم نزل رسول الله ﷺ فاستنصر ربه قائلاً: «اللهم أنزل نصرك» .

روى مسلم عن العباس رضى الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ، وهو على بَعْلَةٍ لَهُ بِيضَاءَ ، فَلَمَّا التَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ وَلى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قَبْلَ الْكُفَّارِ ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَعْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْفُهَا إِرَادَةً أَنْ لَا تُسْرِعَ ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمْرَةِ»<sup>(٢)</sup> وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي يَا أَصْحَابَ السَّمْرَةِ ، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقْرِ عَلَى أَوْلَادِهَا ، فَقَالُوا: يَا لَيْتَكَ ، يَا لَيْتَكَ قَالَ: فَاقْتُلُوا وَالْكَفَّارَ ، وَالِدَعْوَةَ فِي الْأَنْصَارِ ، يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ مِنَ الْخَزْرَجِ ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ ، كَالْمُنْتَاطُولِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ ، فَقَالَ: «الآن حَمِي الْوُطَيْسِ» ، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصِيَّاتٍ مِنَ الْأَرْضِ فَرَمَى بِهِنَّ وَجُوهَ الْكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ: «انْهَزْمُوا وَرَبِّ

(١) الرحيق المختوم ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٢) السمرة: هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية .

مُحَمَّدٌ».

فما هي إلا ساعات قلائل - بعد رمى القبضة - حتى انهزم العدو هزيمة منكرة ، وقتل من ثقيف وحدهم نحو السبعين ، وحاز المسلمون ما كان مع العدو من مال وسلاح وظعن ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا التطور في قوله: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرْتُكُمْ فَلَمْ تَفْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْرِكٌ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٦] <sup>(١)</sup> .

**مَنْ قَتَلَ كَافِرًا فَلَهُ سَلْبُهُ :**

وكان النبي ﷺ يشجع أصحابه على أن يقتلوا أكبر عدد من المشركين ، فجعل لكل من يقتل كافرًا الحق في أن يأخذ كل ما معه من متعلقات .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَوْمَنَدُ - يَعْنِي يَوْمَ حُنَيْنٍ - مَنْ قَتَلَ كَافِرًا فَلَهُ سَلْبُهُ» فَقَتَلَ أَبُو طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلًا ، وَأَخَذَ أَسْلَابَهُمْ <sup>(٢)</sup> .

### حَرَكَةُ الْمَطَارِدَةِ :

تفرق من نجا من مقاتلة المشركين في الجبال والوديان بعد هزيمتهم في معركة حنين ، ولجأت مجموعة كبيرة منهم إلى أوطاس ، وعسكرت مجموعة أخرى منهم في نخلة ، أما غالبية من انهزم من ثقيف فقد تبعوا قائدهم مالك بن عوف النصرى إلى حصونهم بالطائف ، وقد لاحق مقاتلة المسلمين الفارين حسب توجيهات النبي ﷺ ، حيث بعث أبا عامر عبيد بن سليم بن حضار الأسلمي على رأس قوة من المسلمين إلى أوطاس فقاتلهم .

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامِرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسَ ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصُّمَّةِ ، فَقَتَلَ دُرَيْدًا ، وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ قَالَ أَبُو مُوسَى: وَبَعَثَنِي مَعَ أَبِي عَامِرٍ فَرُمِيَ أَبُو عَامِرٍ فِي رُكْبَتِهِ رَمَاهُ جُشَمِيُّ بِسَهْمٍ فَأَلْبَتُهُ فِي رُكْبَتِهِ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ يَا عَمُّ! مَنْ رَمَاكَ؟ فَأَشَارَ أَبُو عَامِرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى ، فَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ

(١) الرحيق المختوم ٣٥٧ - ٣٥٩ ، السيرة النبوية للصلاحي ٢ / ٤٩٢ - ٤٩٣ ، فقه السيرة للبطي ٢٩٨ .

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ص ٥٨٣ .

قَاتِلِي تراه ذلك الذي رمانى قال أبو موسى: فَصَدْتُ لَهُ، فَلَحِقْتُهُ فَلَمَّا رَأَيْتِي وَلَّى عَنِي ذَاهِبًا، فَاتَّبَعْتُهُ وَجَعَلْتُ أَقُولُ لَهُ: أَلَا تَسْتَحْيِي؟ أَلَسْتُ عَرَبِيًّا؟ أَلَا تَتَّبِعْتَنِي؟ فَكَفَّ فَالْتَقَمْتُ أَنَا وَهُوَ فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّيْفِ فَفَتَلْتُهُ.

ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي عَامِرٍ، فَقُلْتُ: قَدْ قَتَلَ اللَّهُ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَانْتَزِعْ هَذَا السَّهْمَ، فَانزَعْتُهُ، فَانزَا مِنْهُ الْمَاءَ <sup>(١)</sup> فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي أَنْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاقْرَأْهُ السَّلَامَ، ثُمَّ قُلْ لَهُ إِنَّهُ يَقُولُ لَكَ اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: وَأَسْتَخْلِفْنِي أَبُو عَامِرٍ عَلَى النَّاسِ يَسِيرًا، ثُمَّ مَاتَ فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، دَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ، وَقَدْ أَتَرَّ رِمَالُ السَّرِيرِ بِظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَنَّتِيهِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِنَا، وَخَبَرَ أَبِي عَامِرٍ، وَقَالَتْ لَهُ: قَالَ: قُلْ لَهُ اسْتَغْفِرْ لِي، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي عَامِرٍ عَبْدِكَ»؛ حَتَّى رَأَيْتُ بِيَاضَ إِبْطِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ مِنْ النَّاسِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلى فَاسْتَغْفِرْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ ذُبَيْهِ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلًا كَرِيمًا، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: إِحْدَاهُمَا لِأَبِي عَامِرٍ، وَالْأُخْرَى لِأَبِي مُوسَى» <sup>(٢)</sup>.

### الغنائم:

وكانت الغنائم: السبي ستة آلاف راقية فضة، أمر رسول الله ﷺ بجمعها، ثم حبسها بالجعمرانة جعل عليها مسعود بن عمرو الغفارى، ولم يقسمها حتى فرع من غزوة الطائف.

وكانت فى السبي الشيماء بنت الحارث السعدية، أخت رسول الله ﷺ عرفت له نفسها؟ فعرّفها بعلامة فأكرمها، وبسط لها رداءه، وأجلسها عليه، ثم منّ عليها، وردّها إلى قومها.

### غزوة الطائف:

وهذه الغزوة فى الحقيقة امتداد لغزوة حنين، وذلك أن معظم فلول هوازن وثقيف دخلوا الطائف مع القائد العام - مالك بن عوف - وتحصنوا بها، فسار إليهم رسول الله

(١) فنزا منه الماء: ظهر وجرى.

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ٥٨٤ - ٥٨٥.

ﷺ بعد فراغه من حنين وجمع الغنائم بالجعرانة في الشهر نفسه - شوال ٨ هـ ، وفي طريقه ﷺ إلى الطائف مر على نخلة اليمامة ، ثم على قرن المنازل ، ثم على ليّة ، وكان هناك حصن لمالك بن عوف فأمر بهدمه ، ثم واصل سيره حتى انتهى إلى الطائف فنزل قريباً من حصنه ، وعسكر هناك وفرض الحصار على أهل الحصن .

ودام الحصار مدة غير قليلة ، ففي رواية أنس عن مسلم : أن مدة حصارهم كانت أربعين يوماً ، وعند أهل السير خلاف في ذلك ، وقيل : خمسة عشر يوماً ، وقيل : بضعة عشر ، وقيل : ثمانية عشر ، وقيل : خمسة عشر .

ووقعت في هذه المرة مرامة ، ومقاذفات ، فالمسلمون أول ما فرضوا الحصار رماهم أهل الحصن رمياً شديداً ، كأنه رجل جراد ، حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة ، وقتل منهم اثنا عشر رجلاً ، واضطروا إلى الارتفاع عن معسكرهم إلى مسجد الطائف اليوم ، فعسكروا هناك .

ونصب النبي ﷺ المنجنيق على أهل الطائف ، وقذف به القذائف ، حتى وقعت شدخة في جدار الحصن ، فدخل نفر من المسلمين تحت دبابه ، ودخلوا بها إلى الجدار ليحرقوه ، فأرسل عليهم العدو سكك الحديد عليهم محماة بالنار فخرجوا من تحتها ، فرموهم بالنبل وقتلوا منهم رجالاً .

وأمر رسول الله ﷺ - كجزء من سياسة الحرب لإلجاء العدو إلى الاستسلام - أمر بقطع الأعتاب وتحريقها ، فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً ، فسألته ثقيف أن يدعها لله والرحم ، فتركها لله والرحم ، ونادى مناديه ﷺ : أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر ، فخرج إليهم ثلاثة وعشرون رجلاً ، فيهم أبو بكره ، تسور حصن الطائف ، وتدل منه ببكرة مستديرة يستقى عليها ، فكانه رسول الله ﷺ : «أبا بكره» فأعتقهم رسول الله ﷺ ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه ، فشق ذلك على أهل الحصن مشقة شديدة ، ولما طال الحصار استعصى الحصن ، وأصيب المسلمون بما أصيب من رشق النبال ، وبسكك الحديد المحماة ، وكان أهل الحصن قد أعدوا فيه ما يكفيهم لحصار سنة ، استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الذبلي فقال : هم ثعلب في جحر ، وإن أقيمت عليه أخذته ، إن تركته لم يضرك ، حينئذ عزم رسول الله ﷺ على رفع الحصار والرحيل ، فأمر عمر بن الخطاب فأذن في الناس : «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ» ، فَتَقَلَّ

عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلَا نَفْتَحُهُ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «فَاعْدُوا عَلَى الْقِتَالِ، فَعَدُوا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ»، فَقَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فسروا بذلك وأذعنوا، ورجعوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك، ولما ارتحلوا واستقلوا قال: «قولوا: آيئون تائبون عابدون، لربنا حامدون» وقيل: يا رسول الله، ادع على ثقيف، فقال: «اللهم اهد ثقيفاً، وانت بهم».

**قِسْمَةُ الْغَنَائِمِ بِالْجِعْرَانَةِ:**

ولما عاد رسول الله ﷺ بعد رفع الحصار عن الطائف مكث بالجعرانة بضع عشر ليلة لا يقسم الغنائم، ويتأتى بها، يبتغى أن يقدم عليه وفد هوأزن تائبين فيحرزوا ما فقدوا، ولكنه لم يجئه أحد، فبدأ بقسمة المال، ليسكت المتطلعين من رؤساء القبائل وأشرف مكة، فكان المؤلفة قلوبهم أول من أعطى وحظى بالأنصاب الجزلة.

أعطى أبا سيفيان بن حرب أربعين ومائة من الإبل، فقال: ابني يزيد؟ فأعطاه مثلها، فقال: ابني معاوية؟ فأعطاه مثلها، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى، ثم مائة ثم مائة، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، ثم مائة ثم مائة.

وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة مائة من الإبل، وكذلك أعطى رجالاً من رؤساء قريش وغيرهم مائة مائة من الإبل، وأعطى آخرين خمسين وأربعين وأربعين؛ حتى شاع في الناس أن محمداً يعطي عطاء، ما يخاف الفقر، فزدحم عليه الأعراب يطلبون المال؛ حتى اضطروه إلى شجرة، فانتزعت رداءه فقال: أيها الناس ردوا عليّ رداي، فوالذي نفسى بيده لو كان عندي عدد شجرتها تهامة نعماً لقسمته عليكم، ثم ما ألفتيموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً، ثم قام إلى جنب بعيره فأخذ من سنامه وبرة، فجعلها بين إصبعه ثم رفعها، فقال: أيها الناس والله ما لي من فيئكم، ولا هذه البرة إلا الخمس، والخمس مردود عليك.

وبعد إعطاء المؤلفة قلوبهم أمر رسول الله ﷺ يزيد بن ثابت بإحضار الغنائم والناس، ثم فرضها على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل إما أربعاً من الإبل، وإما أربعين شاة؛ فإن كان فارساً أخذ اثني عشر بعيراً أو عشرين ومائة شاة<sup>(١)</sup>.

(١) الرحيق المختوم ٣٥٩ - ٣٦١.

ذَهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَعَادَ الْأَنْصَارُ بِالْبَشِيرِ وَالنَّذِيرِ ﷺ :

ولما قسم النبي ﷺ الغنائم بين الناس وجد الأنصار في قلوبهم ، وحزنوا وظنوا أن النبي ﷺ نسيهم ، فجمعهم النبي ﷺ ودار بينه وبينهم هذا الحوار الرقيق الذي يجعل القلب يبكي الدماء بدل الدموع<sup>(١)</sup> .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أُعْطِيَ مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا ، فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ<sup>(٢)</sup> حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقَدْ لَقِيَ وَاللَّهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هِيَ الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ ؛ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفِيءِ الَّذِي أَصَبْتَ ، فَقَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عَظَمًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكْ فِي هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ ، قَالَ: «فَأَيْنَ آتَتْ مِنْ ذَاكَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا مِنْ قَوْمِي ، قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ»<sup>(٣)</sup> .

قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ ، قَالَ: فَجَاءَ رَجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ ، فَدَخَلُوا ، وَجَاءَ آخَرُونَ فَزَدَهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةَ بَلَّغْتَنِي عَنْكُمْ ، وَجِدَّةٌ<sup>(٤)</sup> وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ ، وَأَعْدَاءَ فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرٌ وَأَفْضَلُ .

ثم قال: أَلَا تُحِبُّونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَالُوا وَيَمَاذَا نُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنْ وَالْفَضْلُ: «قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلصَدَقْتُمْ وَصَدَقْتُمْ أَتَيْتَا مُكْذِبًا فَصَدَقْنَاكَ وَمَخْذُولًا<sup>(٥)</sup> فَتَصَرَّفْنَاكَ وَطَرِيدًا فَأَوْتَيْنَاكَ وَعَانِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ أَوْجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي

(١) سيرة الرسول أبو عمار ص ٥٩٣ .

(٢) الحظيرة: شبه الزريبة التي تصنع للإبل والماشية لتمنعها وتكف منها العوادي .

(٣) الموجدة: العتاب .

(٤) مخذولاً: متروكاً .

لِعَامَةٍ<sup>(١)</sup> مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا وَوَكَّلْتَكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتُ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ قَالَ فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحِطًّا ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقْنَا<sup>(٢)</sup> (٣).

**قُدُومُ وَفْدِ هَوَازِنَ:**

وبعد توزيع الغنائم أقبل وفد هوازن مسلمًا ، وهم أربعة عشر رجلاً ، ورأسهم زهير ابن صُرْد ، وفيهم أبو برقان عم رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فأسلموا وبايعوا ثم قالوا: يا رسول الله ، إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات ، وهن مخازى الأقوام:

فامنن علينا رسول الله في كرم  
فإن المرء نرجوه ونتظسر  
امنن على نسوة قد كنت ترضعها  
إذ فوك تملؤه من محضها الدر

وذلك فى أبيات ، فقال: (إن معى من ترون ، وإن أحب الحديث إليّ أصدقه ، فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم) قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً ، فقال: إذا صليت الغداة - أى صلاة الظهر - فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المؤمنين ، ونستشفع بالمؤمنين إلى رسول الله ﷺ أن يرد إلينا سبينا ، فلما صلى الغداة قاموا: فقالوا ذلك ، فقال ﷺ: «أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وسأسال لكم الناس» فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال العباس ابن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا ، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال العباس بن مرداس: وهنتمونى .

فقال رسول الله ﷺ: «إن هؤلاء القوم قد جاءوا مسلمين»، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتَضَرَهُمْ بَضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ

(١) لعامة: بقلة خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

(٢) أخرجه أحمد ١١٣٢٢ .

(٣) ابن هشام (٢ / ١٩٤ - ١٩٥) .

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ رَادٍ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ قَالُوا فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبِيئًا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ فَأَتَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاءُواَنَا تَائِبِينَ وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبِيئَهُمْ فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُبِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ فَقَالَ النَّاسُ قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا لَا نَذَرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُقُوبَتَكُمْ أَمْرَكُمْ».

فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم لم يتخلف منهم أحد غير عينية بن حصن؛ فإنه أبا أن يرد عجزوا صارت في يديه منهم، ثم ردها بعد ذلك، وكسا رسول الله ﷺ قبطية قبطية<sup>(١)</sup>.

### عُمْرَةُ الرَّسُولِ وَعَوْدَتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ:

ثم خرج الرسول ﷺ من الجعرانة معتمراً، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة، وقد استخلف عتاب بن أسيد على مكة، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين، ويعلمهم القرآن، وكانت عودته إلى المدينة لست ليال بقين من ذي القعدة سنة ٨ هـ<sup>(٢)</sup>.

### مِنْ نَتَائِجِ غَزْوَةِ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ:

- ١- انتصار المسلمين على قبيلتي هوازن وثقيف في هذه الغزوة.
- ٢- كانت غزوة حنين والطائف آخر غزوات النبي ﷺ لمشركي العرب.
- ٣- رجوع كثير من أهل مكة والأعراب بغنائم إلى مواطنهم؛ تأليفاً لهم لدخول الإسلام، وحصول الأنصار على وسام عظيم، وهو شهادة رسول الله ﷺ لهم بالإيمان والدعاء لهم، ولأبنائهم وأحفادهم ورجوعهم برسول الله ﷺ إلى المدينة.
- ٤- انضمام كوكبة مباركة من قيادة أهل مكة وهوازن إلى الإسلام وأصبحوا حرباً وضروساً على الأوثان والأصنام والمعابد الجاهلية في الجزيرة العربية، كما كان لقبيلة هوازن دور كبير في مجاهدات أهل الطائف والتضييق عليهم حتى أسلموا.

(١) الرحيق المختوم ٣٦٢ - ٣٦٣.

(٢) ابن هشام (٢ / ١٩٦).

٥- توسعت الدولة الإسلامية وامتد نفوذها، وأصبح لرسول الله ﷺ أمراء بمكة، وعلى قبيلة هوازن، وصارت تلك الأماكن جزءاً من الدولة الإسلامية التي عاصمتها المدينة المنورة، وأصبح بالإمكان أن يرسل رسول الله ﷺ بعوثاً دعوية بدون خوف أو وجل من أحد، وصارت المدينة بعد الفتح تستقبل وفود المستجيبين، وأخذت حركة السرايا تستهدف الأوثان والأصنام لتهديمها، فقد أصبح استئصال وجودها من الجزيرة سهلاً، ونظم رسول الله ﷺ فريضة الزكاة فكلف من يقوم على جمعها من القبائل التابعة للدول<sup>(١)</sup>.

### العِبْرُ وَالْعِظَاتُ:

١- تعتبر غزوة حنين هذه درساً في العقيدة الإسلامية وقانون الأسباب والمسببات من نوع ذلك الدرس الذي أوحى به غزوة بدر، بل متمماً له.

فإذا كانت وقعة بدر قد قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئاً في جنب كثرة أعدائهم، إذا كانوا صابرين ومتقين؛ فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين أن الكثرة أيضاً لا تفيدهم إذا لم يكونوا صابرين ومتقين، وكما نزلت آيات من كتاب الله تعالى في تقرير عبرة بدر، فقد نزلت آيات منه أيضاً في تقرير العبرة التي ينبغي أن تؤخذ من حنين.

كان المسلمون في بدر أقل عدداً منهم في أي موقعة أخرى ومع ذلك فلم تضرهم القلة شيئاً بسبب صدق إسلامهم ونضج إيمانهم وشدة ولائهم لله وللرسول ﷺ.

وكان المسلمون في حنين أقل عدداً منهم في أي موقعة أخرى ومع ذلك فلم تضرهم القلة شيئاً بسبب صدق إسلامهم ونضج إيمانهم وشدة ولائهم لله ورسوله، وكان المسلمون في حنين أكثر عدداً منهم في أي موقعة أخرى خاضوها من قبل، ومع ذلك فلم تنفعهم الكثرة شيئاً، بسبب تلك الجماهير التي لم يتمكن الإيمان بعد في نفوسهم، ولم يتغلغل معنى الإسلام بعد في أعماق أفئدتهم<sup>(٢)</sup>.

(١) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٥١٧ - ٥١٨).

(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٣٠٢.

٢- استعمل النبي ﷺ فى حصاره للطائف أسلحة جديدة لم يسبق له أن أستعملها من قبل مثل المنجنيق والدبابة والحسك الشائك ، وفى هذا "إشارة إلى قادة الأمة خصوصاً ، والمسلمين عموماً أن لا يعطلوا عقولهم وتفكيرهم من أجل الاستفادة من النافع ، والجديد الذى يحقق للأمة مصلحة الدارين ، ويدفع عنها شرور أعدائها"<sup>(١)</sup> .

٣- قام رسول الله ﷺ بتأليف قلوب أهل مكة الذين أسلموا عام الفتح بمزيد من الغنائم من قبيل الإغراء والتشجيع فى أول الأمر ، حتى يخالط الإيمان بشاشة القلب ، ويتذوق حلاوته .

ويوضح الشيخ محمد الغزالي حقيقة هذا الأمر فى مثال محسوس فيقول: إن فى الدنيا أقواماً كثيرة يقادون إلى الحق من بطونهم ، لا من عقولهم ، فكما تهدى الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تُمدّ إليه فمها ؛ حتى تدخل حظيرتها آمنة ، فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون الإغراء ؛ حتى تستأنس بالإيمان وتهش له .

كما ضرب ﷺ صورة مؤثرة: قوم يبشرون بالإيمان يقابلهم قوم يبشرون بالجمال ، وقوم يصحبهم رسول الله ﷺ يقابلهم قوم يصحبهم الشاة والبعير ، لقد أيقظتهم تلك الصورة وأدركوا أنهم وقعوا فى خطأ ما كان لأمثالهم أن يقعوا فيه ، فانطلقت حناجرهم بالبكاء ومآقيهم بالدموع وألستهم بالرضا ، وبذلك طابت نفوسهم واطمأنت قلوبهم بفضل سياسة النبي ﷺ الحكيمة فى مخاطبة الأنصار<sup>(٢)</sup> .

من المعجزات النبوية فى غزوة حنين إيصال الله عز وجل قبضته التى رُمى بها إلى عيون أعدائه على البعد منه وبركته فى تلك القبضة ، حتى ملأت عيون القوم ، ونزول الملائكة للقتال معه ﷺ حتى رآهم العدو جهرة ، ورآهم بعض المسلمين<sup>(٣)</sup> .

### أَهْرُ الْأَحْدَاثِ مَا بَيْنَ حُنَيْنٍ وَتَبُوكَ :

وبعد الرجوع من هذا السفر الطويل الناجح أقام رسول الله ﷺ بالمدينة يستقبل الوفود ، ويبعث العمال ، ويبث الدعاة ، ويكتب من بقى فيه الاستكبار عن الدخول فى دين الله ، والاستسلام للأمر الواقع الذى شهدته العرب ، وهاك صورة مصغرة من ذلك .

(١) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٤٩٥ - ٤٩٦) .

(٢) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٥٠٢ - ٥٠٣) .

(٣) سيرة الرسول أبو عمار ص ٥٨٨ .

## الْمُصَدِّقُونَ:

وفى مطلع محرم من العام التاسع للهجرة، بعث رسول الله ﷺ الْمُصَدِّقِينَ إِلَى الْقَبَائِلِ ، وهذه هي قائمتهم:

- ١- عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ .
- ٢- يَزِيدُ بْنُ الْحُصَيْنِ إِلَى أَسْلَمَ وَغِفَارٍ .
- ٣- عَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَشْهَلِيُّ إِلَى سُلَيْمٍ وَمَزِينَةَ .
- ٤- رَافِعُ بْنُ مَكِيثٍ إِلَى جُهَيْنَةَ .
- ٥- عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى بَنِي فِزَارَةَ .
- ٦- الضَّحَّاكُ بْنُ الْعَاصِ إِلَى بَنِي كِلَابٍ .
- ٧- بَشِيرُ سَفِيَّانٍ إِلَى بَنِي كَعْبٍ .
- ٨- ابْنُ اللَّثْبِيِّ الْأَزْدِيُّ إِلَى بَنِي ذَبْيَانَ .
- ٩- الْمَهَاجِرُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ إِلَى صَنْعَاءَ (وخرج عليه الأسود العنسي وهو بها) .
- ١٠- زِيَادُ بْنُ لَيْدٍ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ .
- ١١- عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ إِلَى طَيْعٍ وَبَنِي أَسَدٍ .
- ١٢- مَالِكُ بْنُ نَوِيرَةَ إِلَى بَنِي حَنْظَلَةَ .
- ١٣- الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرِ إِلَى بَنِي سَعْدِ (إلى قسم منهم) .
- ١٤- قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى بَنِي سَعْدِ (إلى قسم آخر منهم) .
- ١٥- الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْبَحْرَيْنِ .
- ١٦- عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى نَجْرَانَ (لجمع الصدقة والجزية كليهما) .

وليس هؤلاء العمال كلهم بعثوا في المحرم سنة ٩ هـ، بل تأخر بعث عدة منهم إلى اعتناق الإسلام من تلك القبائل التي بعثوا إليها.

## السَّرَايَا

١- سَرِيَّةُ عَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ:

في محرم سنة ٩ هـ إلى بني تميم، في خمسين فارساً، لم يكن فيهم مهاجري، ولا أنصاري، وسببها: أن بني تميم قد أغروا القبائل، ومنعواهم من أداء الجزية، وخرج عينته

ابن حصن يسير الليل ، ويكمن النهار ، حتى هجم عليهم فى الصحراء ، فولى القوم مدبرين ، وأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً ، وساقهم إلى المدينة ، فأنزلوا فى دار رملة بنت الحارث .

وقدم فىهم عشرة من رؤسائهم ، فجاءوا إلى دار النبى ﷺ ، فنادوا: يا محمد ، اخرج إلينا ، فخرج فتعلقوا به ، وجعلوا يكلمونه فوقف معهم ثم مضى حتى صلى الظهر ، ثم جلس فى صحن المسجد ، فأظهروا رغبتهم فى المفاخرة والمباهاة ، وقدموا خطيبهم عطارد بن حاجب فتكلم ، فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس - خطيب الإسلام - فأجابهم ، ثم قدموا شاعرهم الزبيرقان بن بدر ، فأنشد مفاخراً ، فأجابه شاعر الإسلام حسان بن ثابت على البديهة .

ولما فرغ الخطيبان قال الأقرع بن حابس: خطيبه أخطب من خطيبنا ، وشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا ، وأقوالهم أعلى من أقوالنا ثم أسلموا ، فأجازهم رسول الله ﷺ ، فأحسن جوائزهم ، ورد عليهم نساءهم وأبناءهم .

#### ٢- سَرِيَّةُ قُطَيْبِ بْنِ عَمِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى حَيٍّ مِنْ حَنْظَلَمٍ:

بناحية تبالة ، بالقرب من تُرْبَةَ فى صفر سنة ٩ هـ ، خرج قطبة فى عشرين رجلاً على عشرة أبعرة يعتقبونها ، فشن الغار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ حتى كثر الجرحى فى القرىقين ، وقتل قطبة مع من قتل ، وساق المسلمون النعم والنساء والشاء إلى المدينة .

#### ٣- سَرِيَّةُ الضَّحَّاكِ بْنِ سَفْيَانَ الْكِلَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَنِي كِلَابٍ:

فى ربيع الأول سنة ٩ هـ ، بعثت هذه السرية إلى بنى كلاب ؛ لدعوتهم إلى الإسلام ، فأبوا وقتلوا ، فهزهم المسلمون ، وقتلوا منهم رجلاً .

#### ٤- سَرِيَّةُ عُلْقَمَةَ بْنِ مَجْزُودِ الْمَدَلِجِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى سَوَاحِلِ جُدَّةَ:

فى شهر ربيع الآخر سنة ٩ هـ ، فى ثلاثمائة ، بعثهم إلى رجال من الحبشة ، كانوا قد اجتمعوا بالقرب من سواحل جدة للقيام بأعمال القرصنة ضد أهل مكة ، فخاض علقمة البحر حتى انتهى إلى جزيرة ، فلما سمعوا بمسير المسلمين إليهم هربوا .

#### ٥- سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى صَنْعَمٍ لَطِيٍّ:

يقال له: الفُلس - ليهدمه - فى شهر ربيع الأول سنة ٩ هـ ، بعث رسول الله ﷺ فى

خمسين ومائة ، على مائة بعير وخمسين فارساً ، ومعه راية سوداء ولواء أبيض ، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر ، فهدموه وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء ، وفي السبي أخت عدى بن حاتم ، وهرب عدى إلى الشام ، ووجد المسلمون في خزانه الفللس ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع ، وفي الطريق قسموا الغنائم ، وعزلوا الصفي لرسول الله ﷺ ، ولم يقسموا آل حاتم .

ولما جاءوا إلى المدينة استعطفت أخت عدي بن حاتم رسول الله قائلة: يَا رَسُولَ اللَّهِ غَاب الْوَأْفِدُ وَأَنْقَطَعَ الْوَلَدُ وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ مَا بِي مِنْ خِدْمَةٍ فَمَنْ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ قَالَ: «مَنْ وَأَفِدُكَ» قَالَتْ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ قَالَ: «الَّذِي فَرَّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» قَالَتْ فَمَنْ عَلَيَّ قَالَتْ فَلَمَّا رَجَعَ وَرَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ نَرَى أَنَّهُ عَلِيٌّ قَالَ: «سَلِيهِ حِمْلَانًا» قَالَ فَسَأَلْتُهُ فَأَمَرَ لَهَا قَالَتْ فَأَتَيْتَنِي فَقَالَتْ لَقَدْ فَعَلْتَ فَعَلَةٌ مَا كَانَ أَبُوكُ يَفْعَلُهَا قَالَتْ إِنَّهُ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا فَقَدْ أَتَاهُ فُلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ وَأَتَاهُ فُلَانٌ فَأَصَابَ مِنْهُ قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصِيبَانٌ أَوْ صَبِيٌّ فَذَكَرَ قُرْبَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مُلْكُ كِسْرَى وَلَا قَيْصَرَ فَقَالَ لَهُ يَا: «عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ مَا أَفْرَكَ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ مَا أَفْرَكَ أَنْ يُقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ فَهَلْ شَيْءٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» قَالَ: فَأَسْلَمْتُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبَشَرَ وَقَالَ: إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ وَالضَّالِّينَ النَّصَارَى ، قال: فإني حنيف مسلم فانبسط وجه النبي فرحا وأمر به فنزل عند رجل من الأنصار وجعل يأتي النبي ﷺ طرفي النهار .

وفى رواية ابن إسحاق عن عدى أن النبي ﷺ لما أجلسه بين يديه في داره قال له: «إيه يا عدى بن حاتم، ألم تكن ركومياً»<sup>(١)</sup> قال: قلت: بلى ، قال: «أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع»<sup>(٢)</sup> قال: قلت: بلى ، قال: «فإن ذلك لم يحل لك في دينك» قال: قلت: أجل والله قال: وعرفت أنه نبي مرسل بعرف ما يجهل .

وفي رواية لأحمد أن النبي ﷺ قَالَ<sup>(٣)</sup>: «يَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ أَسْلِمَ تَسْلَمٌ» ثَلَاثًا قَالَ قُلْتُ إِيَّيْ عَلَى دَيْسِنٍ قَالَ: «أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ» فَقُلْتُ: «أَلْتِ أَعْلَمُ بِدِينِي مِنْي» قَالَ: «نَعَمْ أَلَسْتُ مِنَ الرُّكُومِيَّةِ وَأَلْتِ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ قَوْمِكَ؟» قُلْتُ: «بَلَى قَالَ: «فَإِنْ هَذَا لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ» قَالَ:

(١) الركومية: دين بين النصارى والصابئين .

(٢) المربع: ربع الغنمة .

(٣) رواه أحمد ١٧٧٩٦ .

فَلَمْ يَعِدْ أَنْ قَالَهَا فَتَوَاضَعَتْ لَهَا .

وروى البخاري عن عدي بن حاتم قال<sup>(١)</sup>: «بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجلٌ فشكا إليه الناقة ثم أتاه آخرٌ فشكا إليه قطع السبيل: «فقال يا عدي هل رأيت الحيرة» قلت لم أرها وقد أثبتت عنها قال فإن طالبت بك حياة لترين الطعينة ترتجل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد ولئن طالبت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال: «كسرى بن هرمز ولئن طالبت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يتسرجم له» فليقولن له ألم أبعث إليك رسولاً فبلغك فيقول بلى فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم قال عدي سمعت النبي ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشقعة ثمرة فمن لم يجد شقة ثمرة فبكلمة طيبة» قال عدي فرأيت الطعينة ترتجل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالبت بكم حياة لتروا ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه البخاري ٣٥٩٥ .

(٢) الرحيق المختوم ٣٦٤ - ٣٦٧ .